السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣٨)

حَيَّ عَلَىٰ الجِهَادِ..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حَيَّ عَلَىٰ الجِهَادِ..

تَعَالَوا يَا أَحِبَّتَي البَرَاعِمَ لِنَتَسَاءَلَ : لِمَاذَا لَمْ يُقَاتِلِ المُسْلِمُونَ المُشْرِكِيْنَ بَعْدُ ؟

عِلَماً أَنَّ عَدَدَهُمْ قَدْ كَثُر... وَدَوْلَتَهُمْ قَدْ بَدَأَتْ تَقْوَىٰ شَوْكَتُهَا ؟

وَالجَوابُ : أَنَّه حتَّىٰ هَذِه السَّنَةِ ـ أَي : السَّنَةِ الأُوْلى مِنَ الهِجْرَةِ ـ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِذْنٌ إِلٰهيٌّ بِالقِتَالِ .

إِنَّمَا كَانَ التَّوْجِيْهُ الرَّبَّانِيُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يَصْبِرَ.. وَيَتَحَمَّل الأَذىٰ.. ـ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ـ وَأَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ.. وَأَنْ

يُرَوِّضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ العَفْوِ وَ التَّسامُحِ...

وَلِذَلِكَ لَمْ يَرِدْ في العَهْدِ المَكِّيّ كُلِّهِ آيَةٌ وَاحِدَةٌ تَحُضُّ عَلى القِتَالِ وَالجِهَادِ.. ، إِنَّما كَانَتِ الآيَاتُ المَكِّيَّةُ تُرَكِّزُ على تَرْسِيْخِ العَقِيْدَةِ والبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا لَهُ عَلاقَةٌ بِالشِّرْكِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ...

وَبِالْفِعْلِ ـ وَكَمَا مَرَّ مَعَنَا سَابِقاً ـ فَقَدْ تَحَمَّل المُسْلِمُونَ الكَثِيْرَ وَالْكَثِيْرَ ، حَتَّى اضْطَرَّ بَعْضُهُمْ لِلْهِجْرَةِ فِرَاراً بِدِينِهِ.. تَارَةً إلى الحَبَشَةِ.. وَأُخْرَى إِلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ..

وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَنَالُوا شَرَفَ الْجِهَادِ ، أَذِنَ لَهُمْ بِذَلِكَ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ في ذَلِكَ هِيَ قَوْلَهُ تَعَالىٰ :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ

أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1] .

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ ، وَأَصْحَاباً لَهُ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ! كُنَّا في عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ ، فَلَمَّا آمَنا ، صِرْنَا أَذِلَّةً!

فَقَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « إِنِّي أُمِرْتُ بالعَفْوِ ، فَلا تُقَاتِلُوا القَوْمَ » .

---

(١) سورة الحج : ٣٩ ـ ٤١ .

فَلَمَّا حَوَّلَهُ إلى المَدِيْنَةِ ، أَمَرَهُ بِالْقِتَالِ ، فَكَفُّوا ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾[1] .

ثُمَّ أَنْزَلَ الله تَعَالىٰ المِيْزَانَ الدَّقِيْقَ لِلْقِتَالِ ، بِحَيْثُ لا يَجُوزُ الاعْتِداءُ عَلىٰ الآخَرِيْنَ ، وَلا يَجُوزُ مُبَاغَتَتُهُمْ ، وَلا يَجوزُ الابْتِدَاءُ بِالقِتَالِ ، إنَّمَا لا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ القِتَالُ مِنْ أَجْلِ الله وَحْدَهُ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ

---

(١) سورة النساء : ٧٧ .

فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٩٠ـ ١٩٣ .

ثُمَّ فُرِضَ الجِهَادُ

نُقِلَ عَنِ الإمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ الله قَوْلُه :... وَلَمَّا مَضَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ مُدَّةٌ مِنْ هِجْرَتِهِ أَنْعَمَ الله تَعَالىٰ فِيْهَا عَلى جَمَاعاتٍ باتِّبَاعِهِ ، حَدَثَتْ لَهُمْ بها ـ مَعَ عَوْنِ الله عَزَّ وجَلَّ ـ قُوَّةٌ بِالعَدَدِ لَمْ يَكُنْ قَبْلَها ، فَفَرض الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِم الجِهَادَ بَعْدَ أَنْ كَانَ إبَاحَةً لاَ فَرْضاً ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦ .

وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة التوبة : ١١١ .

أَوَّلُ رَايَةٍ فِي الإِسْلامِ

وَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُنَفِّذَ أَوَامِرَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ هي رَايَةَ حَمْزَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، حَيْثُ أَرْسَلَ مَعَهُ ثَلاثِيْنَ رَاكِباً مِنَ المُهَاجِرِيْنَ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ اعْتِرَاض قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ فِيْها قَرَابَةُ ثلاثِمِئَةِ رَاكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ . يَتَزَعَّمُهُمْ أَبُو جَهْلٍ.

فَلَمَّا بَلَغَت سَرِيَّةُ حَمْزَةَ مِنْطِقَةً قُرْبَ السَّاحِلِ تُدْعى (نَاحِيَةَ العِيْصِ) اصْطَفَّ المُسْلِمُوْنَ لِلْقِتَالِ ، إلا أَنَّ (مَجديَّ بْنَ عَمْرٍو الجُهَنِيَّ) -

وَكَانَ حَلِيفاً لِلْفرِيْقَيْنِ جَمِيْعاً ـ حَالَ دُوْنَ وُقُوعِ القِتَالِ بَيْنَهُمَا .

فَتَوَجَّهَ أَبُو جَهْلٍ في أَصْحَابِهِ وِعِيرِهِ إلىٰ مَكَّةَ ، وَانْصَرفَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ في أَصْحَابِهِ إلى المَدِيْنَةِ.. ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[1] .

وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو جَهْلٍ إلى مَكَّةَ ، طَافَ بِالبيت الحَرَامِ . ثُمَّ وَقَفَ على نَادِي قُرَيْشٍ . وَقَالَ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ نَزَلَ يَثْرِبَ وَأَرْسَلَ طلائِعهُ ، وَإِنَّمَا يُرِيْدُ أَنْ يُصِيْبَ مِنْكُمْ شَيئَاً فاحْذَرُوا أَنْ تَمُرّوا طَرِيْقَهُ وَأَنْ تُقَارِبُوه ، فَإِنَّهُ كَالأَسَدِ الضَّاري.

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٥ .

فَقَالَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ : يَا أَبَا الحَكَمِ! وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَصْدَقَ لِسَاناً ، وَلا أَصْدَقَ مَوْعِداً مِنْ أَخِيْكُمُ الَّذِي طَرَدْتُمْ ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ الَّذِي فَعَلْتُمْ ، فَكُونُوا أَكَفَّ النَّاسِ عَنْهُ .

* * *

« .. اسْتَوْصِيْ بِعَائِشَةَ خَيْراً.. »

وَبَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجةَ ، رَضِيَ الله عَنْهَا ، وَحُزْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا ، أَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَذَكَرَ لَهُ الزوَاج مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبي بَكْرٍ رَضيَ الله عَنْهُما ، وَقَالَ لَهُ : يَارَسُولَ الله ، هَذِهِ تُذْهِبُ بِبَعْض حُزْنِكَ ، وَإِنَّ في هَذِهِ لَخَلَفاً مِنْ خَدِيْجَةَ...

وَلِـذَلِـكَ أَوْصَـىٰ رَسُـولُ الله ﷺ أُمَّهـا (أُمَّ رومان) بِهَا خَيْرَاً : « يَا أُمَّ رُومَانَ ، اسْتَوصِيْ بِعَائِشَةَ خَيْرَاً! أَوْ : احْفَظِيْنِي فِيْهَا » .

وَتَقَدَّمَ الرَّسُولُ ـ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَليه ـ

فَخَطَبَهَا مِنْ أَبِيْهَا ، وَأُمِّهَا... وَلَمَّا بَلَغَتِ التَّاسِعَةَ مِنَ العُمْرِ أَهْدَىٰ إِلَيْهَا مَهْرَاً بَسِيْطاً ، ثُمَّ أَوْلَمَ لَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ على النِّسَاء كَافَّةً ـ وَعلى بَاقي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ خاصَّةً ؛ بِأَنَّهَا المرأةُ الوَحِيْدَةُ التَّي تَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله بِكْراً ، وَأَنَّه صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا قُبِضَ كَانَ رَأْسُهُ في حِجْرِهَا.. ، وَأَنَّه دُفِنَ في حُجْرَتِهَا .

وَعَاشَتْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ سَنَوَاتٍ رَائِعَةً ، حَيْثُ كَانَتْ تُرَفرفُ في سَمَاءِ حَيَاتِهَا الزَّوْجِيَّةِ رَايَاتُ الحُبِّ وَالدَّلالِ ، إلىٰ دَرَجَةِ أَنَّها ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قَدْ رَوَتْ مَا يَلِي : قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَىٰ » .

فَقُلْتَ : وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟

قَالَ : « أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، فَإِنَّك تَقُوَلِيْنَ : لا ، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ! وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَىٰ ، قُلْتِ : لا ، وَرَبِّ إِبْرَاهِيم! » .

فَقُلْتُ ، أَجَلْ ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ .

وَاسْتَمَرَّتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ زَمَنَ خِلافَةِ مُعَاوِيَةَ ، رَضِيَ اللهُ عنه ، وَذَلِكَ حِيْنَ وَافَتْهَا المَنِيَّةُ عام (٥٧هـ) سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ للهجرة... ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا..

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *